جهود أبنائه، بينما تعانى مصر من أبسط حقوق الإنسان كفرد لأنها تحولت من دولة حاكمة إلى دولة محكومة ، فانعكس حالها على أبنائها ، ومع أن محاولات المجتمع المصرى لم تتوقف للتخلص من الاستعمار الخارجى والاستبداد الداخلى ، ظل الواقع المعاش محزناً للمثقف الذى عاش تجربة المجتمعات الغربية ومدى ما يناله أفرادها من حقوق . يقول لطفى السيد : «على أن كثيراً من المبعوثين أو الذين سافروا للرحلة أحزنهم ما ناله الإنسان فى الغرب من احترام وحقوق ، وما يعانيه الإنسان الشرقى بعامة والمصرى خاصة من إجحاف وهوان » (٣) . وما يصيب به التفكك أبناء المجتمع من إحساس بالهوان والدونية يعمل بدوره على تفتيت عزائم أبناء الوطن . ولذلك تنبه لطفى السيد إلى أسباب الأزمة وشخَّصها ليخرج منها بالعلاج الصحيح . وقد نقل عن جوستاف لوبون ما قاله عما يفعله الانحطاط بالشعوب محذراً من مغبة التراجع عن التقدم على الرغم من بعض المظهريات البراقة : « إن الرومانيين فى زمن انحطاطهم كانوا أشد ذكاء من أجدادهم الأشداء ، ولكنهم فقدوا الخواص الأخلاقية كالصبر والعزيمة ، والثبات ، والاستعداد لتضحية النفس فى سبيل الغاية ، والاحتفاظ باحترام القوانين . تلك الخواص الأخلاقية كانت سر عظمة آبائهم الأولين » (٤) . فهل يتساءل الإنسان عن أسباب الضعف بعد أن أدرك أن ما يعانيه المجتمع